ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه الآية وحكى الاصمعي انه
سمع كلام جارية فقال لها قاتلك الله تعالى ما افصحك فقالت او يعد هذا
فصاحة بعد قول الله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه الآية
فجمع في آية واحدة بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين فهذا نوع
من اعجازه منفرد بذاته غير مضاف الى غيره على التحقيق والصحيح من القولين
وكون القرآن من قبل النبي صلى الله عليه وسلم وانه اتى به معلوم ضرورة
وكونه في فصاحته خارقا للعادة معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة
ووجوه البلاغة وسبيل من ليس من اهلها علم ذلك بعجز المنكرين من اهلها
عن معارضته واعتراف المقربين باعجاز بلاغته وانت اذا تاملت قوله
تعالى ولكم في القصاص حياة وقوله تعالى ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا
من مكان قريب وقوله تعالى ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه
عداوة كانه ولي حميم وقوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء
اقلعي وغيض الماء الآية وقوله تعالى فكلا اخذنا بذنبه واشباههما
من الآي بل اكثر القرآن حققت ما بينته من ايجاز الفاظها وكثرة
معانيها وديباجة عبارتها وحسن تاليف حروفها وتلاؤم كلمها
وان تحت كل لفظة منها جملا كثيرة وفصولا جمة وعلوما زواخر ملئت
الدواوين من بعض ما استفيد منها وكثرت المقالات في المستنبطات عنها ثم
هو في سرد القصص الطوال والاخبار القرون السوالف التي يضعف في عادة الفصحاء
عندها الكلام ويذهب ماء البيان آية لمتأمله من ربط الكلام بعضه
ببعض والتئام سرده وتناصف وجوهه كقصة يوسف على
طولها ثم اذا ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها على كثرة ترددها

حتى

حتى تكاد كل واحدة تنسي في البيان صاحبتها وتناصف في الحسن وجه مقابلتها
ولا تنفر للنفوس من ترديدها ولا معاداة لمعادها — الوجه الثاني
من اعجازه صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب المخالف لاساليب كلام العرب
ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه ووقفت مقاطع آيه وانتهت فواصل
كلماته اليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ولا استطاع احد مماثلة
شيء منه بل حارت فيه عقولهم وذهلت وتدلهت ولم تهتد دونه
احلامهم ولم يهتدوا الى مثله في جنس كلامهم من نثر او نظم او سجع او رجز
او شعر ولما سمع كلامه صلى الله عليه وسلم الوليد بن المغيرة وقرأ عليه
القرآن رق فجاءه ابو جهل لعنه الله منكرا عليه قال والله ما منكم احد
اعلم بالاشعار مني والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا وفي خبره الآخر
حين جمع قريشا عند حضور الموسم وقال ان وفود العرب ترد فاجمعوا فيه
رأيا لا يكذب بعضكم بعضا قالوا نقول كاهن قال والله ما هو بكاهن
ما هو بزمزمته ولا سجعه قالوا مجنون قال ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا
وسوسته قالوا فنقول شاعر قال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه
وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه ما هو بشاعر قالوا فنقول ساحر
قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده قالوا فما نقول قال ما انتم بقائلين
من هذا شيئا الا وانا اعرف انه باطل وان اقرب القول انه ساحر وانه
سحر يفرق به بين المرء وابنه والمرء واخيه والمرء وزوجه والمرء
وعشيرته فتفرقوا وجلسوا على السبل يحذرون الناس فانزل الله تعالى
في الوليد ذرني ومن خلقت وحيدا الآية وقال عقبة بن ربيعة حين
سمع القرآن يا قوم قد علمتم اني لم اترك شيئا الا وقد علمته وقرأته وقلته

King Saud University
Copyright © King Saud University